ضوابط التولية والعزل
في إدارة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه (*)
١٣-٢٣هـ/٦٣٤ - ٦٤٤م

ضوابط التولية والعزل
فى إدارة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه (*)
١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة موضوع ضوابط التولية والعزل فى غـــدارة الخليفة الرشاد عمر بن الخطاب ﷺ ، وذلك من خـــلال التعـــرف علـــى المقومات الأساسية التى تساعد على اتخاذ قرار التولية والعزل فـــى الإدارة ، ثم معرفة أهم أسس التولية وأسباب العزل ، وهى من الأمور التى تؤثر علـــى نجاح الإدارة ، حيث يتضح أن الخليفة الراشد عمر بن الخطـــاب ﷺ قـــد راعى فى ذلك كله مقاصد الشرع الحنيف ، فكانت إدارته نموذجاً يحتذى مـــن قبل أصحاب القرار فى الإدارات اللاحقة ، الذين يرغبون فـــى رفـــع كفـــاءة إداراتهم ، حتى تؤدى عملها على أكمل وجه ممكن .

اختصارات التوثيق للمعلومات المفقودة :

د.م = دون مكان نشر .

د.أ = دون اسم نشر .

د.ت = دون تاريخ نشر .

(*) دكتور حسن بن على بن عون الحارثى : أستاذ مشارك فى النظم الإســـلامية ، قســـم التاريخ والحضارة الإسلامية ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى .

مقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين ... أما بعد :

فإن الإدارة الإسلامية فى نشأتها انضبطت بقواعد الشرع الحنيف ، وسارت على مبادئه ، والتزمت بنظمه وقواعده ، وظهر ذلك بوضوح فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده رضى الله عنهم أجمعين ، فلا نجد تصرفاً إدارياً جانت من جوانب الإدارة إلا ومقاصد الشرع مراعاة فيه وموجهة له ، حتى فى أقل الأعمال أهمية .

والحق أن تولية العمال وعزلهم من الأمور المهمة فى الإدارة عموماً ، إذ يترتب على ذلك نجاح الإدارة أو فشلها ، لذلك أولى أصحاب القرار فى الإدارة الإسلامية — لا سيما فى أول نشأتها — اهتماماً بالغاً بهذا الأمر .

ومعلوم أن الدولة الإسلامية قد اتسعت رقعتها ، وكثرت ولاياتها ، وتعددت الوظائف فيها ، خلال عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والذى كان يحرص على أن تكون إدارته ذات كفاءة عالية ، وسبيله إلى تحقيق ذلك حسن اختيار العمال وتوليتهم الوظائف الإدارية ، ومراقبتهم بعد ذلك ، لإثابة المحسن على إحسانه ، ومعاقبة المسىء على إساءته ، ويكون العزل من ضمن وسائل العقاب والتأديب ، كل ذلك كان له ضوابطه فى حالتى التولية والعزل.

ومن خلال عرضنا فى هذه الدراسة لضوابط التولية والعزل فى إدارة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، سيتضح لنا جلياً مدى حرص هذه الإدارة على الالتزام بمبادئ الشرع فى كل أعمالها ، وذلك وفق النقاط التالية:

أولاً: مقومات التولية والعزل فى الإدارة الإسلامية :

الخلافة أو الإمامة العظمى هى أكبر المهام فى الدولة الإسلامية لأنها كما يقول الماوردى (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م): "موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا" (١) والخليفة أو الإمام هو صاحب الولاية العليا فى الإسلام ، وولايته هذه شاملة لجميع الاختصاصات التنفيذية والقضائية والتشريعية ، فهو كما عرفه الفقهاء الوالى الذى لا والى فوقه (٢) ، لذلك فعمله من أثقل الأمانات وأجل المسؤوليات ، الذى سوف يحاسب عليه أمام الله سبحانه وتعالى ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته .." (٣). ويمكننا العرف على أهم المقومات التى يحتاج إليها الخليفة (الإمام) قبل أن يتخذ قراره فى تولية شخص أو عزله فيما يلى:

١- مباشرة الأمور:

" إن تقسيم العمل بين العاملين ، وتحديد وظائفهم سواء كانت تفويضية أو تنفيذية ، ليس معناه بُعد ولى الأمر عن الإشراف على سير العمل ومتابعته لمعرفة نجاحه ، بل لابد لولى الأمر من أن يشرف على أعمال كبار

---

(١) الأحكام السلطانية ، ص٥.

(٢) صلاح الدين دبوس: الخليفة توليته وعزله ، ص٣٣.

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى (الجامع الصحيح) ، ١٠٤/٨ ، الإمام مسلم: صحيح مسلم ، ١٤٥٩/٣.

موظفيه ، وأن يتابعهم ويراقب أعمالهم ، مراقبة بقصد منها الاطمئنان على قيامهم بواجبهم ، وأن يحاسب من قصر فى عمله ، أو تعدى على غير حقه ، أو تجاوز حدود وظيفته " (١). وعلى ذلك فقد ذكر فقهاء الأحكام السلطانية أن من بين الأمور العامة التى على الخليفة (الإمام) القيام بها ".. أن يبشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ، لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة ، فقد يخون الأمين ويغش الناصح .. وهذا وإن كان مستحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة ، فهو من حقوق السياسة لكل مسترعٍ " (٢). وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يباشر بنفسه مهام الدولة الإسلامية فى عهده(٣)، ويتضح من سيرته أنه كان يشرف على عماله ويرشدهم ويوجههم(٤)، وقد سار الخلفاء الراشدون على هذا المنهج النبوى القويم ، فكانوا يباشرون مهام الخلافة بأنفسهم ويداومون الإشراف على عمالهم، ويرشدونهم إلى كيفية أداء الأعمال الموكلة إليهم ، ويوالونهم بتعليماتهم وتوجيهاتهم فيما أشكل عليهم من أمور(٥).

---

(١) عبدالله أحمد قادرى : الكفاءة الإدارية ، ص١١٩.

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٦ ، أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، ص٢٨.

(٣) ابن تميمة : الفتاوى الكبرى، ١٨/٢٨ ، ٨٧/٣١ ، الحسبة ، ص١٥ ، على على منصور: نظم الحكم والإدارة، ص٢٣١ ، أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة، ص٧٦، محمد رواس قلعة جبى: دراسة تحليلية لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، ص٢٠٣-٢٦١.

(٤) الإمام البخارى: صحيح البخارى ، ١٠٧/٥ -١٠٨،١١٠.

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ، ٥٥٩/٣ ، الماوردى: الأحكام السلطانية ، ص١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢١٣-٢١٥ ن محمد كردعلى : الإسلام والحضارة العربية ، ١٠٧/٢-٤٥،على على منصور: نظم الحكم والإدارة ، ص٢٨٣ ، ٢٨٤ ، محمد طاهر عبدالوهاب: الرقابة الإدارية (بحث ضمن وقائع ندرة النظم الإسلامية الجزء الأول) ٢٩٩.

٣- مطالعة الأخبار:

أوضح علماء المسلمين مدى أهمية مطالعة الخليفة (الإمام) للأخبار ، وجمعها بالطرق الصحيحة ، كأحد الدعائم التى يحتاج إليها فى إدارة دولته ، وسبيله إلى اتخاذ قرار التولية والعزل والثواب والعقاب .

يقول الماوردى : إن على ولى الأمر أن يجعل على كل واحد من ولاته وعماله " عيوناً ومشرفين وازمة (١) سراً وعلانية " (٢) حتى " لا تنطوى عنه أخبارهم ولا تخفى عليه آثارهم ، وهم رعاة دولته ، وحماة رعيته " (٣) مع التأكيد على " أن لا يجعل بحثه عن الأمور واطلاعه عليها ... لعباً ولهواً ، وسلباً وهزلاً ، بل لمعرفة الحقائق وقضاء الحقوق ، وإثابة المحسن ، وعقوبة المسيء ، وتقريب الناصح البعيد ، وتبعيد الغاش القريب، وإقامة الأود ، وسد الخلل ، وانتهاز الفرص ، ومبادرة ما يخاف فوته ، ومعالجة ما يضر تأخيره " (٤). ويقول أبو حاتم البستى (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م): الواجب على ولى الأمر " أن يتفقد أمور عماله ، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ، ولا إساءة مسيء ، لأنه إذا جنى عليه عماله لم يكن قائماً بالعدل"(٥) ويرى البستى أن يختار ولى الأمر " من رعيته أقواماً أمناء ، يبعث بهم فى

---

(١) الزمام : جمع أزمة ، وهو مشتق من زمام الناقة الذى هو ما نعها من إرادة هواها وقاصرها على المكان الذى عقلت فيه . وقيل للزمام ديوان لأنه جعل كالكتاب الذى تدون فيه المعانى والعلوم وتبين لتعلم ولتحفظ فى كل وقت ، فهو مدون لتقييد الأشياء والمعانى التى يخشى عليها من النسيان. الخزاعى: تخريج الدلالات السمعية ، ص٢٣٩ ، الفيروزآبادى: القاموس المحيط ، ص١٤٤٤.

(٢) نصيحة الملوك ، ص١٩٠.

(٣) تسهيل النظر ، ص٢١٩.

(٤) نصيحة الملوك ، ص٢١٨.

(٥) روضة العقلاء ، ص٢٦٩.

كل سنة إلى المدن ، ليشرفوا على العمال والحكام ([1]) ، ويتفقدوا أسبابهم وسيرهم ، ويخبروه بها ، فيعزل من استحق منهم العزل ، ويقر من اتباع الحق " ([2]). ويقول أبو بكر الطرطوشى (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) ناصحاً ولى الأمر: " احرص كل الحرص أن تكون خبيراص بأمور عمالك ، فإن المسىء يفرق من خبرتك به قبل أن تصيبه بعقوبتك ، والمحسن يستبشر بعلمك به قبل أن يأتيه ثوابك " ([3]). ويقول عبدالرحمن الشيزرى (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م): لابد لولى الأمر " أن يكون بلطفه وحذق جواسيسه وعيونه ، محيطاً بمعرفة أحوال رعيته وقواده وولاة ثغوره ([4]) وأعماله ، وحاشيته وجنده "([5]) . ويخاطب محمد بن على القلعى (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): ولى الأمر بقوله: " اعلم أم معايب عمالك والمتصرفين فى أعمالك من أقبح معايبك ، ومآثرهم ومناقبهم من أحسن مآثرك ومناقبك .. فدم على مراعاة أحوالهم ، ولا تهمل مكافأة أفعالهم ، فأول المحسن ما يستحق من حسن الولاء ، والمسىء ما يستوجبه من سُوء الجزاء ، ليتصرفوا لك فى الأمانة ، ويتعففوا عن الخيانة " ([6]).

وينقل ابن الأزرق (ت٨٩٦هـ/١٤٩١م) عن ابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م) قوله: " يلزم الإمام أهل كل جهة من جهات بلده ، أن يفد عليه من خيارهم وعلمائهم ، ليستخبرهم عن حال الأمير والناس ،

([1]) الحكام: جمع حاكم وهو القاضى. الفيومى : المصباح المنير ، ص٥٦.

([2]) روضة العقلاء ، ص٢٧٢.

([3]) سراج الملوك ، ص٩٣.

([4]) الثغور: جمع ثغر وهو من البلاد الموضع الذى يخاف منه هجوم العجو ، وما يلى دار الحرب . الفيومى: المصباح المنير ، ص٣٢، الفيروزآبادى: القاموس المحيط، ٤٥٨.

([5]) المنهج المسلوك ، ص٥٣٢-٥٣٣.

([6]) تهذيب الرياسة ، ص١٣٩.

ويكسوهم ويصلحهم ، كما كان عليه السلام يفعل ، فإذا وفدوا عليه انفرد بهم واحداً بعد واحد ، حتى يقف على الحق من الباطل فى أمر الناس ، وأمر ولاته وجميع أحوال عماله "([1]). وعلى ذلك فإن مطالعة أخبار الولادة والعمال من هدى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد سار الخلفاء الراشدون على هذا النهج القويم ([2]).

٣- تصفح الظلامات:

إن تصفح ولى المر للظلامات وجلوسه للحكم فيها ، من الطرق المهمة ذات الثر الكبير فى معرفة أحوال ولاته وعماله ، بل إن ذلك يمنعهم من ظلم الرعية والتعدى عليهم ، لذلك رغب الفقهاء فى أن يخصص الخليفة (الإمام) يوماً للنظر فى المظالم والفصل فيها.

يقول القاضى أبو يوسف (ت١٨٢هـ/٧٩٨م) ناصحاً الخليفة العباسى هارون الرشيدى (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م): " فلو تقربت إلى الله تعالى يا أمير المؤمنين ، بالجلوس لمظالم رعيتك ، فى الشهر أو الشهرين مجلساً واحداً ، تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم ، رجوت أن لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ، ولعلك لا تجلس إلا مجلساً أو مجلسين ، حتى

([1]) بدائع السلك فى طبائع الملك ، ٥٢٢/٢-٥٢٣ وقد أوضح ابن الأزرق أن الإشراف على الولاة والعمال يكون عن طريقين: أولا: بث العيون عليهم ليطلع بذلك على حقيقة حالهم. ثانياً: استقدام من يعتد به من أهل أعمالهم ليعرف من ناحيتهم مثلما تنهى إليه تلك العيون من لدنه، ٣٢٧/١-٣٢٨. ولدينا نصائح فى هذا الموضوع قدمها القاضى عبيد الله العنبرى للخليفة العباسى المهدى، وأخرى قدمها القاضى أبو يوسف للخليفة العباسى هارون الرشيد، انظر أبا يوسف: الخراج، ص٢٣٤ ، ٢٧١ ، وكيع: أخبار القضاة ، ١٠٥/٢.

([2]) أبو يوسف: الخراج، ص٢٤٦ ، الحاجظ: أخلاق الملوك ، ١٦٨ ، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٤/١ ، الطبرى: تاريخ، ٢٢٦/٤، ٣٤١ ، الماوردى: نصيحة الملوك، ص٢١٤.

ينتشر ذلك فى الأمصار والمدن ، فيخاف الظالم وقوفك على ظلمة فلا يجترئ على الظلم ، ويأمل الضعيف المقهور جلوسك ونظرك فى أمره ، فيقوى قلبه ويكثر دعاؤه .. مع أن العمال والولاة ، أن عملوا أنك تجلس للنظر فى أمور الناس ، يوماً فى السنة ليس يوماً فى الشهر ، تناهوا بإذن الله عن الظلم ، وانصفوا من أنفسهم " (١). ويقول الشيزرى: " إن جلوس الملك لكشف قصص تالمظلومين ، والفصل بين المتنازعين ، من أعظم قوانين العدل ، الذى لا يعم الصلاح إلا بمراعاته ، ولا يتم التناصف إلا به " (٢).

ويقول ابن الجوزى (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): " ينبغى أن يسهل السلطان الإذن للعوام ، وأن يقعد لهم فى كل وقت ، فإن علم النواب بذلك يكفهم عن ظلم العوام ، وشدة الحجاب توجب انبساط النواب فى الرعية ، فيكون منها الخلل " (٣). ويعرض لنا الماوردى تاريخ النظر قفى المظالم بقوله: " نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم المظالم.. ولم ينتدب للمظالم من الخلفاء الأربعة أحد ، لأنهم فى الصدر الأول مع ظهور الدين عليهم ، بين من يقوده التناصف إلى الحق ، أو يزجره الوعظ عن الظلم ... واحتاج على ﷺ حين تأخرت إمامته ، واختلط الناس فيها إلى غوامض الأحكام .. ثم انتشر الأمر بعده " (٤). تلك هى أهم المقومات التى على ولى الأمر أن يراعيها ، قبل اتخاذه قرار التولية أو العزل ، وقد استنبطها الفقهاء من تطبيقات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين من بعده ، الذين وضعوا لنا النموذج الأمثل للإدارة الإسلامية .

---

(١) الخراج، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٢) المنهج المسلوك، ص٥٦٢-٥٦٣.

(٣) الشفاء فى مواعظ الملك والخلفاء ، ص٦٣.

(٤) الأحكام السلطانية ، ص٧٧-٧٨ ، أيضا أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص٧٤-٧٥.

ثانياً: خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م):

إن شخصية الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، من أعظم الشخصيات فى تاريخنا الإسلامى دون شك ، وهو علم من أعلام الإسلام الذين تخرجوا فى مدرسة النبوة ، وقد ملأت سيرته الآفاق علماً وفقهاً وعدلاً ، وخلقاً وصلاحاً وزهداً وتواضعاً ، وقوة فى الحق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وهيبة فى قلوب الأعداء ، وقد حباه الله بمميزات وشمائل ، قلما نجدها فى غيره من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم. وقد تحدثت المصادر كثيراً عن سيرته ، وشمائله وأخلاقه ، وكلما بحث المرء فى سيرته ، كلما تكشفت له كثيراً من جوانب العظمة فى شخصيته الفذة الفريدة.

١- نسبه :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى ، يكنى أبا حفص ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم(١) ، ويلتقى نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده كعب بن لؤى. أسلم ﷺ بعد خمسة وأربعين رجلاً ، وإحدى عشرة امرأة فى ذى الحجة من السنة السادسة من النبوة ، وهو ابن ست وعشرين سنة (٢).

٢- تولية الخلافة:

تولى الخلافة بعد وفاة الصديق ﷺ ، فى جمادى الآخرة سنة ١٣هـ/٦٣٤م ، وذلك بعهد من أبى بكر إليه(٣).

---

(١) ابن سعد: الطبقات ، ٢٦٥/٣ ، ابن الأثير: أسد الغابة ، ٦٤٢/٣.

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ٢٦٩/٣-٢٧٠ ، المحب الطبرى: الرياض النضرة ، ٢٤٤/١.

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ٢٧٤/٣.

روى المحب الطبرى (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) أن أبا بكر عندما حضرته الوفاة دعا عمر وقال له: " اتق الله يا عمر ، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضته ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا ، وحق لميزان لا يكون له إلا الحق أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازينه باتباعهم الباطل ، وحق لميزان لا يكون فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً " (١). وكان بعض الصحابة قد اعترض على استخلاف أبى بكر لعمر ، وقالوا له: " أتستخلف علينا فظاً غليظاً! لو قد ملكنا كان أفظ وأغلظ"(٢). وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها : " لما ثقل أبى دخل عليه فلان وفلان فقالوا: يا خليفة رسول الله ماذا تقول لربك إذا قدمت عليه غداً ، وقد استخلفت علينا ابن الخطاب؟ فقال : أجلسونى ، أبالله ترهبونى؟ أقول: استخلفت عليهم خيرهم "(٣).

وفى رواية أخرى تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: " لما حضرت أبا بكر الوفاة استخلف عمر ، فدخل عليه على وطلحة فقالا: من استخلفت ؟ قال: عمر قالا: فماذا أنت قائل لربك؟ قال: أبالله تفرقانى؟ لأنا أعلم بالله وبعمر منكما ، أقول: استخلفت عليهم خير أهلك" (٤). وكان اعتراض الصحابة رضوان الله عليهم على استخلاف أبى بكر لعمر ناجم عن الشدة التى عرف بها عمر رضي الله عنه ، والتى كان يأخذهم بها أثناء خلافة أبى بكر ، وليس لشئ آخر. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يثنى على عمر كثيراً ، فقد

---

(١) الرياض النضرة ، ٢٣٣/١.

(٢) أبو يوسف : الخراج ، ص٤٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات ، ٢٧٤/٣.

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ٢٧٤/٣.

قال : " إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه " (١) ، وقال عليه الصلاة والسلام: " الحق بعدى مع عمر حيث كان " (٢) ، " وأشد أمتى فى أمر الله عمر " (٣) ، وقال أيضاً: " لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون ملهمون ، فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر " (٤).

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه : " ما كنا ننكر ونحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله تعالى عنه " (٥). ولما ولى الخلافة حسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للأمور أقرانها وراحتها ، وأذل صعابها (٦) ، وقام على المنبر فخطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : " أيها الناس ألا إنى داع فهيمنوا ، اللهم إنى غليظ فلِّينى ، وشحيح فسخِّنى ، وضعيف فقوِّنى " (٧).

وكانت رقعة الدولة الإسلامية قد اتسعت فى عهده أيما اتساع ، وأتم امسلمون فتح العراق وفارس والسام ومصر وغيرها ، فقام رضي الله عنه بتمصير البصرة والكوفة وأنزلها العرب ، وخطها خططاً للقبائل ، واستقصى القضاة

---

(١) أبو نعيم الأصفهانى: حلية الأولياء ، ٤٢/١ ، المحب الطبرى: الرياض النضرة ٢٦٩/١.

(٢) ابن الجوزى : مناقب عمر ، ص٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات ، ٢٩١/٣ ، ابن الجوزى : مناقب عمر ، ص٢٨.

(٤) الترمذى: سنن ، ٥٨١/٥ ، ابن حجر العسقلانى: تهذيب التهذيب ، ٤٤٠/٧.

(٥) أبو نعيم الأصفهانى: حلية الأولياء ، ٤٢/١ ، المحب الطبرى: الرياض النضرة ٢٥٤/١.

(٦) المحب الطبرى: الرياض النضرة ، ٣٤٥/١.

(٧) أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء ، ٥٣/١.

فى الأمصار ([1]) ، ودون للناس الدواوين ، وكتبهم على قبائلهم وفرض لهم العطاء ([2]) . ونتيجة لاتساع الرقعة الدولة الإسلامية ، فقد حدثت تطورات إدارية كبيرة فى الدولة الإسلامية ، وتدفقت الأموال على الخلافة بصورة كبيرة ، حتى أن الفاروق رضي الله عنه ، بكى بكاءً شديداً عندما جاءته الأموال بصورة كبيرة ، فدعا بابن عباس رضي الله عنه لقسمتها ، وكان يقول فى بكائه: " كلا والذى بعثه بالحق ، ما حبس هذا عن نبيه وعن أبى بكر إرادة الشر بهما ، وأعطاه عمرة إرادة الخير به " ([3]).

وكانت هذه التطورات الجديدة ، تقتضى إدارة حاسمة قوية أمينة راشدة، حيث وجد المسلمون أنفسهم أمام واقع جديد ، لم يعهدوه من قبل فى الأمصار المفتوحة ، وكانت هذه الأمصار تتطلب ولاة وعمالاً ، على قد كبير من القوة والأمانة وتحمل المسئولية ، نيابة عن الخليفة .

وكان اختيار عمر رضي الله عنه للعمال والولاة فى هذه الأمصار ، يتم وفق ضوابط وأسس محددة ، مستمدة من توجيهات القرآن الكريم. (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) ([4]) ومن توجيهات السنة النبوية المطهرة واجتهاداته ، فكانت التولية لا تتم وفقاً لأهواء شخصية أو معرفة أو قرابة أو غير ذلك ، فلابد من توافر صفات معينة تؤهل العامل لتولى العمل ، كما أن العزل كان لا يتم إلا لأسباب موضوعية . وقد باشر عمر رضي الله عنه الأمور بنفسه ، وأكد

([1]) ابن سعد : الطبقات ، ٢٨٢/٣، ابن خياط : تاريخ، ص١٥٣-١٥٦، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٣٣/٧-١٣٤.

([2]) الطبرى: تاريخ، ٢٠٩/٤ ، الذهبى: تاريخ، ٢٦٦/٣.

([3]) ابن سلام: الأموال ، ص٣١٩.

([4]) سورة القصص : الآية ٢٦.

على ذلك فى أول خطبة خطبها بعد توليه الخلافة ، حيث قال : " فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والأمانة ، فمن يحسن نزده حسناً ، ومن يسئ نعاقبه " (١).

وفى رواية للطبرى (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) : " وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيه ، ومطلع على ما بحضرتى بنفسى إن شاء الله ، لا أكله إلى أحد"(٢). وقال يوماً لجلسائه : " أرأيتم أن استعملت عليكم خير من اعلم ، ثم أمرته بالعدل ، أكنت قضيت ما علي؟ قالوا: نعم ، قال: لا حتى أنظر فى عمله بما أمرته أم لا " (٣). وكان يقول: " أيما عامل لى ظلم أحداً فبلغتنى مظلمته فلم أغيرها ، فأنا ظلمته " (٤) ، وكان يبعث إلى عماله عند رأس كل سنة فيقدمون عليه فيسألهم عن الناس وعما وراءهم ، فمن أراد أن يرده رده ، ومن أراد أن يعزله حبسه عنده (٥) . وبلغ إحساسه بالمسئولية العظيمة الملقاة على عاتقه إلى درجة أنه كان يقول : " لو مات جمل ضياعاً على شط الفرات ، لخشيت أن يسألنى الله عنه " (٦) ، و " لو ماتت شاه على شط الفرات ضائعة ، لظننت أن الله تعالى سائلنى عنها يوم القيامة " (٧).

---

(١) ابن سعد: الطبقات ، ٢٧٤/٣.

(٢) تاريخ ، ٢١٥/٤.

(٣) الهندى: كنز العمال ، ١٦٥/٣.

(٤) البلاذرى : أنساب الأشراف ، ٣٣٤/١٠.

(٥) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ٨٠٦/٣.

(٦) ابن سعد : الطبقات ، ٣٠٥/٣ ، الطبرى : تاريخ ، ٢٠٣/٤.

(٧) أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء ، ٥٣/١.

وكان رضي الله عنه يعس فى المدينة بنفسه (١) ، وقد روى ابن عمر أنه: قدم المدينة رفقة من التجار ، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبدالرحمن بن عوف : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق؟ قال: نعم! فباتا يحرسانهم ويصليان ، فسمع عمر بكاء صبى وتوجه نحوه فقال لأمه: اتق الله واحسنى إلى صبيك. فلما تكرر بكاء الصبى رجع عمر إليها ، وعلم منها أنها تعجل فطامه ، ذلك لأن عمر لا يفرض عطاء إلا للمفطوم ، فسألها عن عمره ، فقالت كذا وكذا شهراً ، فقال : لها ويحك لا تعجليه عن الفطام ، فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء ، قال بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ، ثم أمر مناديه فنادى : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق (٢). ومن مظاهر مباشرته للأمور ما رواه المحب الطبرى أنه : بينما كان عثمان بن عفان رضي الله عنه فى مال له فى يوم صائف مع مولى له ، إذ رأى رجلاً يسوق بكرين (٣) ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر ، فقال عثمان لمولاه : ما على هذا ؟ فنظر فقال : أرى رجلاً معمماً بردائه يسوق بكرين ، ثم دنا الرجل : فقال له : انظر ، فنظر فإذا هو عمر ابن الخطاب فقال : هذا أمير المؤمنين عمر ، فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب ، فإذا لفح السموم ، فأعاد رأسه حتى إذا حاذاه قال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال بكران من إبل الصدقة تخلفا ، وقد مضى بإبل الصدقة ، فأردت أن ألحقهما بالحمى ، وخشيت أن يضيعا فيسألنى الله عنهما ، فقال عثمان : يا أمير المؤمنين هلم الماء والظل ونكفيك ، قال : عد إلى ظلك ، فقال عثمان : عدنا من يكفيك ، فقال : عد إلى ظلك ومضى ، فقال

---

(١) ابن سعد : الطبقات ، ٣٣٥/١-٣٣٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات ، ٣٠١/٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٣٥/٧-١٣٦.

(٣) البكر: بالفتح الفتى من الإبل. الفيومى :المصباح المنير ، ص٢٣.

عثمان": " من احب أن ينظر إلى القوى الأمين فلينظر إلى هـذا " (١) . ورأى على بن أبى طالب عمر وهو يعدو إلى ظاهر المدينة ، فقال له: إلى أين يـا أمير المؤمنين؟ قال : قد ند بعير (٢) من إبل الصدقة فأنا أطلبه ، قـال: قـد أتعبت الخلفاء من بعدك (٣).

وسوف نطالع فيما يلى من خلال عرضنا لأسس التوليـة ، وأسـباب العزل ، شواهد أخرى عن مدى اهتمام عمر ﷺ بمقومات التولية والعـزل من مباشرة للأمور ، ومطالعة للأخبار وتصفح للظلامـات ، الأمـر الـذى ساعده على اتخاذ القرارات الصائبة .

ثالثا: أسس التولية :

اتصفت إدارة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بالقوة والحزم والعدالـة ، ومباشرة الأمور بنفسه ، والمتابعة المستمرة لأحوال الرعية والولاة ، ولذلـك كان من الطبيعى أن يختار ولاته ممن توفرت فيهم هذه الصفـات ، ليكـون هناك نوع من التوافق بين شخصية الخليفة وبين عماله ، حتى يتمكنـوا مـن تنفيذ سياسته فى الأمصار الإسلامية المختلفة.

وكانت التطورات الإدارية التى طرأت على الدولـة الإسـلامية فـى عهده، هى نتيجة حتمية اقتضتها طبيعة المرحلة ، حيث اتسعت رقعة الدولـة الإسلامية ، وتدفقت الأموال على الخلافة بصورة لم تعهد من قبـل — كمـا أسلفنا القول . وكان اختياره ﷺ لعماله يتم إلا بعـد تدقيـق وتمحيـص

---

(١) الرياض النضرة ، ٣٣٥/١-٣٣٦.

(٢) ند البعير : نفر وذهب على وجهه شارداً . الفيومى : المصباح المنير ، ص٢٢٨.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٣٦/٧.

شديدين ، ووفقاً لأسس محددة لابد من توافرها فى العمل ، وكان من أهم هذه الأسس : الأمانة والقوة . وقد أشار إلى ذلك فى أول خطبة خطبها بعد توليه الخلافة ، حيث قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد " فقد ابتليت بكم وابتليتم بى ، وخلفت فيكم بعد صاحبى ، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ، ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والأمانة " (١). والقوة والأمانة شرطان أساسيان لكل ولاية فى النظام الإدارى الإسلامى ، مع تقديم الأصلح الذى تجتمع فيه الشروط أكثر من غيره (٢).

وبما أن الولايات نوع من أداء الأمانات ، فإنه يجب على ولى الأمر أن يولى على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : " من ولى من أمر المسلمين شيئاً ، فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسوله"(٣).

ولما كان اجتماع القوة والأمانة فى الناس قليل ، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " اللهم أشكو إليك جلد الفاجر ، وعجز الثقة " فالواجب فى كل ولاية الأصلح بحسبها ، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة ، والآخر أعظم قوة ، قدم أنفعهما لتلك الولاية (٤). والقوة: هى الكفاءة فى كل ولاية بحسبها ، فالقوة فى إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب ، والخبرة بالحروب والمخادعة فيها ، والقوة فى الحكم بين الناس ، ترجع إلى العلم بالعدل الذى دل عليه الكتاب والسنة ، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام ، أما

---

(١) ابن سعيد: الطبقات ، ٢٧٤/٣ ، الطبرى: تاريخ ، ٢١٥/٤ ، المحب الطبرى: الرياض النضرة ، ٣٤٥/٢.

(٢) محمد طاهر عبدالوهاب: الرقابة الإدارية ، ص٢٩٦.

(٣) ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص٦.

(٤) ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص١٦.

الأمانة فترجع إلى خشية الله ([1]). فهناك أسس وقواعد ينبغى مراعاتها عند الاختبار " فولى الأمر ليس مطلق الحرية يختار من يشاء وفق إرادته وهواه ، بل يجب عليه أن يولى كل عمل أصلح من يجده لذلك العمل ، أى أنه يجب عليه أن يختار الأكفاء القادرين على إنجاز العمل على خير وجه ، ولا يولى أحداً محاباة أو مجاملة "([2]). يقول الماوردى: يلزم ولى الأمر من الأمور العامة عشرة أشياء منها " .. استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء ، فيما يفوض إليهم من الأعمال ، ويكله إليهم من الأموال ، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة ، والأموال بالأمناء محفوظة"([3]).

ويقول أبو الفضل ابن الأعرج (ت٩٢٥هـ/١٥١٩م) أنه يجب على ولى الأمر ، استخدام الكفاءة والأمناء الأتقياء ، واستعمال النصحاء الصلحاء الأقوياء ، لتكون الأموال بكفايتهم ملحوظة مضبوطة ، وبأمانتهم ونصحهم محفوظة محوطة .. لأن من استعان فى عمله بغير كفوء أضاعه ، ومن فوض أمره إلى عاجز عنه فقد أفسد أوضاعه ([4]). ولما كانت الكفاءة والأمانة متوفرة فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد كان الخليفة عمر

([1]) ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص١٤-١٥.

([2]) سعيد الحكيم: الرقابة على أعمال الإدارة ، ص٣٨٧-٣٨٨.

([3]) الأحكام السلطانية ، ص١٦ ، أيضاً أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ، ص٢٨ ، أبو الفضل ابن الأعرج : تحرير السلوك فى تدبير الملوك ، ص٢٧. وانظر أيضاً حول هذا الموضوع: ابن الداية : الفلسفة والسياسة عند العرب ، ص٥٣، الطرطوشى : سراج الملوك ، ص٢٣٩ ، الشيزرى: المنجل المسلوك ، ص٢٥٣ ، ابن جماعة : تحرير الأحكام ، ص٦٦.

([4]) تحرير السلوك فى تدبير الملوك ، ص٢٧،٣٦.

ﷺ لا يختار أحداً غيرهم إذا وجد من بينهم من يكفيه أمره ، وكان أهلاً لذلك ، وإذا لم يجد فيهم فإنه كان يختار من التابعين بإحسان (١).

ومما لا شك فيه أن الصحابة جميعهم عدول ، إلا أن المقدرات الإدارية تتفاوت بينهم من شخص إلى آخر ، فمنهم من هو أكفأ فى الحكم ، ومنهم من هو أكفأ لقيادة الجيوش ، ومنهم من أكفأ لإدارة الأموال وهكذا.

ولذا فقد كان عمر ﷺ يستعمل بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمرو ابن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، ويدع من هو أفضل منهم مثل عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ونظرائهم ، لقوة أولئك على العمل والبصر به ، ولإشرافه عليهم وهيبتهم له ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كره أن يدنس الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل (٢).

وقد أبقى الخليفة هؤلاء الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ليعينوه فى شئون الاجتهاد ، لأنهم أقدر الناس عليه ، وليقدموا له النصح فى الشئون العامة (٣).

وكان أبوعبيدة بن الجارح ﷺ يرى أن استعمال عمر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عموماً ، فيد تدنيس لهم-أى فتنة لهم- إذ يروى أنه قال لعمر: دنست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عمر: يا أبا عبيدة : إذا لم أستعن بأهل الدين على دينى، فبمن أستعين؟

---

(١) الطبرى : تاريخ ، ٢٥/٤.

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ٢٨٢/٣-٢٨٣.

(٣) سليمان محمد الطماوى : عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة ، ص٢٧١.

قال: أما إذا فعلت ، فأغنهم بالعمال عن الخيانة([1]). لقد كان عمر شديد الحرص على تخير ولاته من هؤلاء السابقين إلى الإسلام ليفيدوا أمصارهم علماً وديناً وعدلاً ([2]) ، فكان غالب عماله منهم ز قال عتبة بن غزوان ﷺ - أمير البصرة فى عهد عمر - : " لقد رأينى وأنا سابع سبعة مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ما لنا طعام إلا ورق السمر، حتى تقرحت أشداقنا ، والتقطت بردة فشققتها بينى وبين سعد ، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا وهو أمير مصر من الأمصار ، وسيجربون الناس بعدنا "([3]).

قال أبو يوسف: " دعا عمر بن الخطاب ﷺ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إذا لم تعينونى فمن يعيننى ؟ قالوا: نحن نعينك. قال : يا أبا هريرة ائت البحرين وهجر أنت العام ، قال: فذهبت فجئته فى آخر السنة بغرارتين([4]) فيهما خمسمائة ألف ، أو مال يتيم أو أرملة؟ قال: قلت: لا والله بئس — والله — الرجل أنا إذاً ، إن ذهبت أنت بالمهنا وأنا بالمؤنة"([5]). ولما عزل عمر ﷺ شرحبيل بن حسنة وولى مكانه معاوية بن أبى سفيان قال شرحبيل: أعن سخطة عزلتنى يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ، إنك لكما أحب ، ولكنى أريد رجلاً أقوى من رجل ، وخطب فى الناس قائلاً: " أيها الناس إنى والله ما عزلت شرحبيل عن سخطة ، ولكنى أردت رجلاً

([1]) أبو يوسف : الخراج ، ص٢٣٨.

([2]) حمدى شاهين : الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ، ص١٣١.

([3]) الطبرى ، تاريخ ٣٩٢/٣.

([4]) الغرارة: بالكسرة سبه العدل ، والعدل: نصف الحمل. الفيومى: المصباح المنير ، ص١٦٩، الفيروزآبادى: القاموس المحيط ، ص١٣٣٢.

([5]) الخراج ، ص٢٣٩-٢٤٠.

أقوى من رجل "([1]). ولما أعياه أمر أهل الكوفة الذين عرفوا بكثرة شكاواهم لولاتهم ، استشار أصحابه فيمن يولى عليهم ، أقوى مشدد ، أم ضعيف مؤمن؟ فأشار عليه المغيرة : بأن الضعيف المسلم ضعفه ينعكس على الخليفة وعلى المسلمين وفضله له، وأما القوى المشدد فقوته للخليفة وللمسلمين وشداده عليه ، فبعثه والياً عليهم ([2])، وحذره أن يعود لشيء مما رمى به([3]).

فمعيار القوة معيار أساس ، لابد من توافره فى ولاة عمر فى كافة الأعمال ، وإذا فقد العامل أو الوالى هذا المعيار فقد ولايته ، فهو يرى أن الرجال ثلاثة أصناف : " رجل ينظر فى الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها ، ورجل متوكل لا ينظر ، فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى وقبل قولهم ، ورجل حائر بائر ، لا يأتمر رشداً ، ولا يطيع مرشداً " ([4]).

فالصنف الأول من الرجال هم الذين يتوخاهم عمر فى إدارته ، لأنهم يتمتعون بالكفاءة اللازمة ، والمقدرة على تصريف الأمور نحو وجهتها الصحيحة ، ويستطيعون اتخاذ القرار المناسب فى وقته .

ويرى الفاروق كذلك: أنه " لا يصلح أن يلى أمر الأمة إلا حصيف العقدة ، قليل الغرة / بعيد الهمة ، لا يخشى فى الله لومة لائم .. شديد من غير عنف ، لين من غير ضعف ، جواد من غير سرف " ([5]). وكان رضي الله عنه

([1]) الطبرى : تاريخ ، ٤/٦٤-٦٥.

([2])الطبرى : تاريخ ، ٤/١٦٥.

([3]) البلاذرى : أنساب الأشراف ، ١٠/٣٢٦.

([4]) الحاحظ: البيان والتبيين ، ٣/٢٩٩

([5]) الحاحظ: البيان والتبيين ، ٣/٢٥٥ ، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١/١٨٦ ، الماوردى: دور السلوك، ص١٠٦.

يقول : " إنى لأتحرج أن أستعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه "([1]) ، وكان يكتب لعماله : " أن القوة على العمل ألا تؤخروا عمل اليوم لغد "([2]).

ومن أسس اختيار الخليفة عمر لولاته ، أن يتصفوا بالهيبة والتواضع ، فقد روى أنه قال لأصحابه : دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى. فقالوا له: فلان. قال لا حاجة لى به. فقالوا له: وما هى الصفة التى تريده عليها ؟ قال: أريد رجلا إذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم : قالوا: ما نعرف هذه الصفة إلا فى الربيع بن زياد الحارثى. قال : صدقتم فولاه ([3]). وتمثل الهيبة فى قوله: " والله لأعزلن فلانا عن القضاء ، ولأستعملن على القضاء رجلا رآه الفاجر فرقه ح أى خافه — " ([4]) ، وفى قوله للمغيرة لما ولاه الكوفة : " يا مغيرة ليأمنك الأبرار وليخفك الفجار" ([5]). فالهيبة ضرورة لازمة للعامل . وقد عبر عنها الماوردى بالرهبة ، وهى التى تحسم ذوى العناد ، وتمنع سعى أهل الفساد ، وذلك من أقوى الأسباب فى تهذيب المملكة ([6]).

وكان رضي الله عنه لا يولى أحدا من أقاربه ، وكان يقول : " من ولى من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما ، فقد خان الله ورسوله

([1]) ابن سعد: الطبقات ، ٣٠٥/٣.

([2]) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ، ص١٦.

([3]) ابن قتيبة: عيون الأخبار ، ١٦/١ ، البيهقى: المحاسن والمساوئ ، ص٣٧١-٣٧٢.

([4]) وكيع: أخبار القضاة ، ٢٧٠/١ ، ابن الجوزى : مناقب عمر ، ص١٥٣.

([5]) الطرطوشى : سراج الملوك ، ص١٩٢.

([6]) درر السلوك ، ص٩٢.

والمسلمين "([1]). ولما استشار أصحابه فى أمر أهل الكوفة ، وقال : لـــوددت أنى وجدت رجلاً قوياً أميناً مسلماً أستعمله عليهم. أشار عليه رجـــل بتوليـــه عبدالله بن عمر — ابنه رضى الله عنهما — واثنى عليه بأنه الرجل القـــوى الأمين المسلم ، فرد عله عمر قائلاً " قاتلك الله ، والله ما أردت الله بها " ([2]).

وكذلك كان لا يولى أحداً من قرابة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم خشية الفتنة ، كما أفضى بذلك إلى عبدالله بن عباس رضي الله عنه ، وقال لـــه : رأى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، استعمل الناس وتركهم ، ولا يدرى هل ضـــن بهم النبى صلى الله عليه وسلم عن العمل وأرفعهم عنه ، أم أنـــه خشـــى أن يتعاوروا ([3]) لمكانهم منه ، فيقع العتاب عليهم ([4]).

وكان عمر رضي الله عنه يكتب أحياناً إلى أهل الأمصار ، ليبعثوا إليه رجـــالاً من أهل الخير والصلاح ليوليهم ، فقد كتب إلى أهل الكوفة فى أن يبعثوا إليـــه رجلاً من خيرهم وأصلحهم ، وإلى أهل البصرة كذلك ، وإلـــى أهـــل الشـــام كذلك . فبعث إليه أهل الكوفة عتبة لن فرقد ، وبعث أهل الشـــام معـــن بـــن يزيد، وبعث إليه أهل البصرة الحجاج بن علاط ، كلهم سليمون ، فولى كـــل واحد منهم على خراج أرضه([5]). وولى عمر كعـــب بـــن ســـور القضـــاء بالبصرة، وذلك لفهمه قضية المرأة التى جاءت تشتكى زوجها على اســـتحياء

([1]) ابن تيمية : السياسة الشرعية ص٧. المقصود إذا لم يكن ذلك القريب أو الصاحب مـن ذوى الكفاءة ، وإنما كان عمر لا يولى قرابته زيادة فى الورع.

([2]) ابن الجوزى : مناقب عمر ، ص١١٨.

([3]) العور: من تعاوروا الشئ واعتوروه : تداولوه . الفيومى: المصباح المنير ، ص١٦٦.

([4]) أبو يوسف: الخراج ، ص٢٣٩.

([5]) أبو يوسف: الخراج ، ص٢٣٧.

للخليفة ، وقد أثنى أمير المؤمنين على زوجها ، إلا أن كعب قد تفهم قضيتها على غير النحو الذى ذهب إليه عمر رضي الله عنه ، فاستدعى عمر زوجها ، وأمر كعب أن يقضى بينهما ، فحكم كعب بينهما .. وقد أعجب الخليفة بحكمه ، وأرسله إلى البصرة قاضياً ([1]).

ولابد من وتوافر صفة الرحمة فيمن يتولى الولاية ليكون أرحم برعيته، فقد كتب عمر رضي الله عنه عهداً لرجل ، وجاء بعض ولده فأقعده فى حجرة ، فقال الرجل : ما أخذت ولداً لى قط . قال: ما ذنبى إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، وانتزع العهد من يده ([2]).

كما أنه استعمل رجلاً من بنى أسد ، فدخل ليسلم عليه فأتى عمر ببعض ولده فقبله ، فقال الأسدى: أتقبل هذا يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما قبلت لى ولداً قط. فقال عمر: فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمة ، لا تعمل لى عملاً أبداً ، فرد عهده([3]). وكان رضي الله عنه لا يولى الولاية من طلبها اقتداءً بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . فقد روى البخارى (ت٢٥٦هـ/٧٩٨م) بسنده عن أبى موسى رضي الله عنه قال: دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من قومى. فقال أحد الرجلين: أمرنا يا رسول الله ، وقال الآخر مثله، فقال : " أنا لا نولى هذا من سأله ، ولا من حرص عليه " ([4]).

([1]) وكيع: أخبار القضاة ، ١/٢٧٥-٢٧٦.

([2]) ابن الجوزى: مناقب عمر ، ص١٢٠.

([3]) لبن الجوزى: مناقب عمر ، ص١٢٠.

([4]) صحيح البخارى ، ٨/١٠٧.

ذلك لأن الولايات أمانات ، وتصرف فى أرواح الخلائق وأموالهم ، والتسرع إلى الأمانة دليل على الخيانة ، وإنما يخطبها من أراد أكلها (١) ، ومن هذا المفهوم كان عمر ينظر إلى طالب الولاية .

روى ابن شبه (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) : " أن فتى شاباً كان قد أعجب بن الخطاب ﷺ ، فلما أراد الفتى الخروج إلى بلده ، قال: يا أمير المؤمنين أخلنى فإن لى حاجة ، فأخلاه فقال : إنى أردت الانصراف إلى بلدى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يولينى القضاء ، فقال عمر ﷺ : لقد كدت تغرنى ؛ أن هذا الأمر لا يقوم به من أحبه " (٢). وناداه رجل فاستوقفه ، فوقف . فقال: يا أمير تستعملنى . فأقبل عمر ﷺ يضرب على جبينه ويقول: سبحان الله : إن كاد هذا ليعرنى . لقد قال ما قال وإنى لا أرضى له عملاً(٣). وكان يقول : " لا يحب الإمارة أحد فيعدل " (٤).

أما أهل الردة الذين رجعوا وحسن إسلامهم فكان لا يطعمهم فى الرياسة(٥) ، وقد كتب إلى أمرائه بأن يشاورهم ولا يولوهم شيئاً من الأمر ، كما هو الحال فى طليحة بن خويلد الذى ارتد فى أيام الصديق ﷺ ثم رجع وحسن إسلامه ، وعمر بن معدى كرب الذى استتابه الصديق فتاب وحسن إسلامه بعد ذلك (٦). وكان ﷺ لا يحبذ أن يولى رجلاً من أهل البادية على

---

(١) الطرطوشى : سراج الملوك ، ص١٦٦.

(٢) تاريخ المدينة ، ٣/٨٥٥-٨٥٦.

(٣) ابن شبة: تاريخ المدينة ، ٣/٨٥٦.

(٤) ابن شبه: تاريخ المدينة ، ٣/٨٥٦.

(٥) الطبرى: تاريخ ، ٤/٢٥.

(٦) ابن الجوزى: مناقب عمر ، ص١١٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ٧/١١٨ ، ١١٩.

أهل الحاضرة ، فلقد قد عليه وإلى البصرة عتبة بن غزوان ، وقد استخلف عليها مجاشع بن مسعود السلمى ، فقال عمر لعتبة : من استعملت على البصرة ؟ قال: مجاشع بن مسعود ، قال: تستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المدر (١). وهكذا نرى أن أسس التولية قد تعددت وتنوعت فى عهد الفاروق رضي الله عنه ، إلا أنها كانت تهدف إلى تولية الشخص الأصلح والأقدر والأكفأ للولاية ، وهى أسس مستمدة من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية ، وما سيرى من اجتهاده بما له من نظرة ثاقبة للأمور .

١- شروط التولية :

بعد اختيار الوالى وفقا للأسس السابقة ، كان عمر يكتب له كتابا ، ويشهد عليه رهطا من المهاجرين والأنصار ، ويشترط عليه : ألا يركب برذونا ، ولا يأكل نقيا ، ولا يلبس رقيقا ، ولا يغلق بابه دون حاجات الناس، فإن فعل فقد حلت له العقوبة (٢) . ويقول للعامل : " إنى لم أستعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم ، وزلا على أستارهم ، ولكن استعملتك لتقيم فيهم الصلاة ، وتقسم فيئهم ، وتحكم بالعدل" (٣). وكثيرا ما كان يردد فى خطبه قوله : " اللهم إنى اشهد على أمراء الأمصار ، فإنى إنما بعثتهم ليعملوا الناس دينهم ، وسنة نبيهم ، وأن يقسموا فيهم فيئهم ، وأن يعدلوا فإن أشكل عليهم شئ رفعوه إلى "(٤) وكان يكتب أموالهم (١).

---

(١) الطبرى : تاريخ ، ٥٩٥/٣.

(٢) أبو يوسف: الخراج ، ص٢٤٣ ، الطبرى: تاريخ ، ٢٠٧/٤-٢٠٨ ، الطرطوشى: سراج الملوك ، ص٤١٨ ، ابن الجوزى: مناقب عمر ، ص١١٩ ، المحب الطبرى: الرياض النضرة ، ٣٣٧/١ ، الذهبى: تاريخ الإسلام ، ٢٦٦/٣ ، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣٤/٧.

(٣) المحب الطبرى : الرياض النضرة ، ٣٣٧/١.

(٤) ابن سعد : الطبقات ٣٣٦/٣ ، الطبرى: تاريخ ، ٢٠٤/٤.

وكان إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم ويوصيهم ، فيقول : " إنى لم أستعملكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أشعارهم ، ولا على أبشارهم ، إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل ، وإنى لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم ، ولا تجلدوا العرب فتذلوها ، ولا تجمروها(٢) فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها(٣).

وأكد الفاروق على هذه المعانى بكتابته إلى أمراء الأجناد: "لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ،ولا تحرموهم فتكفروهم ،ولا تحرموهم فتفتنوهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم " (٤) وفى رواية لأبى يوسف أنة كان يبعث إلى عمالة :"أنى لم أبعثكم جبابرة ، ولكن أبعثكم أئمة فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجرموا فتفتنوهم ، ولا تمنعهم فتظلموهم ، وادروا لقمة المسلمين"(٥). وكان عمر رضي الله عنه دائم التوجيه لعماله ، فقد كتب إلى أبى موسى الأشعرى : " أما بعد فإن اسعد الرعاة من سعدت به رعيته ،وان اشقى الرعاة من شقيت به رعيته وإياك أن ترتع فيرتع عمالك ، فيكون مثلك عند الله عز وجل مثل البهيمة ، نظرت إلى خضرة من الأرض فرعت فيها تبتغى السمن ، فإنما حتفها فى سمنها " (٦).

---

(١) ابن سعد: الطبقات ، ٣٠٧/٣.

(٢) جمر الجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يقفلهم إلى أهلهم . الفيروزآبادى: القاموس المحيط، ص٤٦٩.

(٣) الطبرى : تاريخ ن ٢٠٤/٤.

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ٢٨١/٣.

(٥)الخراج ، ص٤٢١. ولقحه المسلمين: أراد فيئهم وخراجهم .

(٦)أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء ، ٥٠/١ ، الماوردى: دور السلوك ، ص١١٥ ، المحب الطبرى: الرياض النضرة ، ٣٤٠/١.

وكتب إليه أيضاً : " ومن خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه ، شأنه الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام " (١) ، وكان يكتب إلى عماله : " إن أهم أموركم عندى الصلاة فمن حافظ عليها وحفظها حفظ دينه ، ومن ضيعها كان لما سواه من عمله أشد إضاعة " (٢).

٣- المتابعة والمحاسبة :

لم يكتف الفاروق بالدقيق فى اختبار الولاة ، واشتراط الشروط عليهم ، والإشهاد على ذلك ،وإنما كان يقوم بمتابعتهم ومحاسبتهم للتأكد من سيرتهم ، وهل ساروا وفق توجيهاته أم حادو عن الطريق الذى رسمه لهم .

ومن الأساليب التى اتخذها لمتابعة العمال ومحاسبتهم ، إنه كان يكتب إليهم ليوافوه فى موسم الحج للتحقيق فى مظالم الرعية ، فإذا وافوه خطب فى الناس وقال لهم : " إنى استعملت عليكم عمالى هؤلاء ، ولم أستعملهم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ولا من أعراضكم ، ولكن استعملتهم ليحجزوا بينكم ، ويردوا عليكم فيئكم ، فمن كانت له مظلمة عند أحد فليقيم، فما قام من الناس أحد يومئذ إلا فلان قام فقال أمير يا المؤمنين: إن عاملك فلاناً ضربنى مائة سوط ، فقال : يضرب مائة!! فاستقد منه. فقام عمرو ابن العاص رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ، إنك متى تفتح هذا على عمالك تكثر عليهم، وتكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال أنا لا أقيد منه وقد رأيت رسول

---

(١) أبو نعيم الأصفهانى: حلية الأولياء ، ١/٥٠.

(٢) ابن تيمية : الساسة الشرعية ، ص٢٣.

الله صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه ! فقال : إذن نرضيه. أرضوه قال : فافتديت منه بمائتى دينار ، فكان كل سوط بدينارين " (١).

ولإحكام الرقابة على الولاة ومتابعتهم فى أعمالهم ، والتحقيق من الشكايات ضدهم ، فقد استحدث عمر رضي الله عنه وظيفة صاحب العمال، ليتبع أثار الشكاوى، وأوكلت هذه الوظيفة إلى محمد بن مسلمة (٢) وكان محمد مسلمة يأتيه بالأمر كما هو(٣).

وكانت متابعة عمر رضي الله عنه لعماله متابعة دقيقة ، إذ كانت تأتيه أخبارهم على الدوام. حتى أنه كان لا يخفى عليه شيء من عمله (٤) ، " فكان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته ، كعلمه بمن بات معه فى مهاد واحد ، فلم يكن له فى قطر من الأقطار ، ولا ناحية من النواحى ، عامل ولا أمير جيش ، إلا وعليه له عين لا تفارقه ما وجده ، فكانت ألفاظ من بالمشرق وللمغرب

---

(١) أبو يوسف: الخراج ، ص٢٤٢-٢٤٣، ابن سعد: الطبقات ، ٢٩٣/٣ ، ابن شبة: تاريخ المدينة ، ٨٠٧/٣.

(٢)الطبرى : تاريخ ، ١٢١/٤ ، وهو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدى الأنصارى أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير . آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى عبيدة بن الجراح . شهد بدرا واحدا وكان فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولى الناس . وشهد الخندق والمشاهد كلها ما خلا تبوك فإن رسول الله استخلفه على المدينة . قال حذيفة بن اليمان: إنى لأعلم رجلا لا تنقصه الفتنة شيئا . فلما سئل من هو؟ قال محمد ابن مسلمة الأنصارى ، توفى بالمدينة سنة ٤٦هـ ، وهو يومئذ ابن سبع وسبعين . ابن سعد: الطبقات ، ٤٤٣/٣-٤٤٥.

(٣) الطرطوشى : سراج الملوك ، ص٤١٨.

(٤) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: ٦٧/٤ ، وانظر: ابن الأثير: الكامل ، ٣٧٥/٢.

عنده فى كل ممسى ومصبح ، وأنت ترى ذلك فى كتبه إلى عماله وعمالهم، حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الخلق إليه وأخصهم به "([1]).

يقول الماوردى : أنه جدير بالسلطان انه لا يذهب عنه صغير ولا كبير من أخبار رعيته ، وأحوال حاشيته ، وسيرة خلفائه والنائبين عنه فى أعماله ، بمداومة الاستخبار عنهم ، وبث أصحاب الأخبار فيهم سراً وإعلاناً ، ويندب لذلك أميناً يوثق بخبره " وتكون عنايته بأخبار من بعد عن حضرته، كعنايته بأخبار من قرب منها، بل ربما كان ذلك أهم، لأن بعد الديار يبسط أيدى الظلمة ، فإذا وافق بعد دارهم قلة الاستخبار عن أحوالهم ، أمنوا فى أهوائهم "([2]) . ولذلك فإن الخليفة عمر كان دائم الاستخبار عن أحوال عماله، الذين كانوا على حذر شديد مكنه فى تصرفاتهم وأعمالهم ، وكانت هيبته شديدة فى نفوسهم إذ كان يحاسبهم محاسبة قاسية ويعنفهم ، وكان يقتص منهم ، وإذا شُكى إليه عامل له جمع بينه وبين من شكاه ، فإن صح عليه أمر يجب أخذه به أخذه به ([3]).

وكان يتحقق من سيرة عماله بسؤال الوفود عنهم . فعندما قدم عليه أهل حمص سألهم عن عاملهم فشكوه إليه ، وعابوا عليه أربعة أمور: أنه لا يخرج إليهم حتى يتعالى النهار ، وأنه لا يجيب أحد بليل ؛ وله يوم فى الشهر لا يخرج إليهم ، وانه يغنط الغنطة بين الأيام – أى تأخذه غيبوبة – فجمع عمر بينهم وبين عاملهم ، ففند العامل الدعاوى المرفوعة ضده ، واقتنع الخليفة بحجة عامله وأثنى عليه ، وحمد الله ورده إلى عمله ([4]).

([1]) الجاحظ: التاج فى أخلاق الملوك ، ص١٦٨ . الماوردى: نصيحة الملوك ، ص٢٧٧.

([2]) درر السلوك ، ص١١٠.

([3]) الطبرى: تاريخ ، ٢٠٤/٤

([4]) أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء ، ٢٤٥/١-٢٤٦.

وبينما هو يمشى فى طرق المدينة إذ هتف به هاتف ، وقال له : إن عامله على مصر عياض بن غنم قد خالف توجيهاته ، فليس الرقيق ، واتخذ الحاجب ، فدعا محمد بن مسلمة رسوله إلى العمال ، وبعثه إلى مصر ، وقال له : وائتنى به على الحال التى تجده عليها . فنفذ ابن مسلمة توجيها الخليفة ، وأتى بعياض بن غنم من مصر ، فلما أدخل على الخليفة ، ألبسه جبة صوف وأعطاه عصا ، وأمره أن يرعى الغنم ، فلما شق على عاملة ذلك ن قال له : أترى أن يكون عندك خير ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم نزع منه الجبة ، وقال له : ارجع إلى عملك ، فكان من خيرة عماله (١) .

وقد اتخذ أمير المؤمنين عمر صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب التأديبى مع عامله هذا وذكره بماضيه ، حتى لا يغتر بمنصبه ، فلما رجع إلى عمله صار من خيرة ولاته .

ولما انقطعت أخبار عامله على حمص عمير بن سعد الأنصارى ، حيث مكث حولا لا يأتيه خبره ، كتب إليه بالقدوم ومعه ما جباه من الفئ ، فلما قدم عليه ماشيا – وكان قد شحب لونه ، واغبر وجهه ، وطال شعره ، وليس معه سوى جرابه الذى لم يكن فيه شئ – سأله عن الأموال التى جباها ؟ فأجابه : بأنه جمع صلحاء أهل البلد فولاهم جباية فيئهم ، ثم وضعه ، وما بقى منه شئ ليأتى به إليه ، فقال عمر : جددوا لعمير عهدا ، فرفض عمير أن يلى له عملا ، وقال له : لا عملت لم ، ولا لأحد بعدك ! والله ما سلمت بل لم أسلم (٢). ولما قدم عليه أبو هريرة رضى الله عنه من البحرين ، ومعه عشرة آلف درهم ، حاسبه على هذه الأموال واتهمه فيها ، وقال له : من أين

---

(١) أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٤٣-٢٤٤ ، ، الطبرى : تاريخ ، ٢٠٧/٤ . وذكر الرواية تاريخ المدينة ، ٨١٧/٣-٨١٨ . وقال أن عياضا كان عاملا على الشام .

(٢) أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء ، ١ / ٢٤٧- ٢٤٨ .

اجتمعت لك عشرة آلف درهم ؟ فقال له : خيلى تناسلت ، وعطائى تلاحق ، وسهامى تتابعت ، فقبضتها منه ([1]) ، فشاطر عمر وقال له : أد الشطر . كما شاطر سعد بن أبى وقاص حين قدم من الكوفة . وكأنه رأى ما أصاب العامل من غير رشوة وإن كان حلالا ، فلا يستحق ذلك ، لأن له بالأمرة قوة على أن ينال من الحلال ما لا ينال غيره ، فجعله كالمضارب للمسلمين ([2]) .

وولى عتبه بن أبى سفيان على كنانة ، فقدم معه بمال ، فقال عمر : ما هذا يا عتبة ؟ قال : خرجت معى بمال فتجرت فيه . فقال له : ما الذى حملك على أن تخرج المال معك ، انظر ما كان فى هذا الوجه من ربح فاحمله إلى بيت المال ، ففعل ([3]) . واشتكى رجل يدعى ضبة بن محصن وإليه أبا موسى الأشعرى إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، فاتهمه بأنه اختار من سيئ ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه ، وله جارية تدعى عقيلة يغديها بجفنة ، ويعشيها بجفنة ، وله قفيزان يكتال بأحدهما لنفسه ويكيل بالآخر لغيره، وعدد أمورا أخرى نقمها عليه . فاستدعى الخليفة أبا موسى وجمع بينه وبين خصمه ، فلما تبين للخليفة عدم صدق دعوى خصمه رده إلى عمله ([4]) .

كما اشتكى رجل أبا موسى الأشعرى أيضا للخليفة ، وكان الرجل ذا بأس ونكاية فى العدو ، فأعطاه أبو موسى بعض سهمه فأبى أن يقبله ، فجلده عشرين سوطا وحلقه ، فجمع الرجل شعره ثم رحل إلى عمر بن الخطاب

([1])البلاذرى : أنساب الأشراف ، ١٠/ ٣٦٧-٣٦٨ ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٥٤/١، الطرطوشى : سراج الملوك ، ص ٤٢٣ .

([2])الطرطوشى : سراج الملوك ، ص ٤٢٣.

([3])البلاذرى : أنساب الأشراف ، ٣٣٢/١٠ .

([4])البلاذرى : فتوح ، ١٠٠/١ ، الطبرى : تاريخ ، ٤ / ١٨٤ – ١٨٥ ، ابن أعثم الكوفى: الفتوح ٢ /٢٨ – ٣١ .

وأخبره خبره ، فكتب عمر إلى أبى موسى بأن يقتص الرجل منه ، فلما قدم عليه ، قال له الماس : اعف عنه ، فقال : والله لا عفوت عنه لأحد من الناس ، فلما قعد بين يديه ليقتص منه ، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إنى قد عفوت عنه لك ([1]) .

وأقبل رجل من أهل مصر على أمير المؤمنين عمر شاكيا له ابن عمرو بن العاص ، الذى استبقه فسبقه على فرس له ، فضربه بسوطه على ملأ من الناس ، وقال له : خذها وأنا ابن الأكرمين ، فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص وابنه ، واقتص للرجل من ابن عمرو بن العاص ، وأراد أن يقتص من عمرو ولكن الرجل قال : إن عمرا لم يضربه ولكنه حبسه ، فقال له عمر : أفتحب أن أحبسه كما حبسك ، فقال الرجل : قد صفحت عنه يا أمير المؤمنين ، فغضب عمرو بن العاص ، وقال للخليفة : إذ قد فعلت بى وبابنى ما فعلت ، فلا إلى لك بعد اليوم عملا ابدأ ، فقال له عمر رضى الله عنه : أذهب حيث شئت ، لا والله يا معشر قريش ما تظنون إلا أن الناس لكم عبيد ! ([2]) . وبلغ الخليفة عمر أ، سعد بن أبى وقاص اتخذ قصرا وجعل عليه بابا ، فأرسل إليه محمد بن مسلمة فقدم الكوفة ، ونفذ أوامر الخليفة وأحرق الباب ([3]) .

بلغه كذلك أن أمرأة عامله مجاشع بن مسعود تجدد بيوتها ، فكتب إليه: بلغنى أن الخضيراء تحدث بيوتها ، فإذا أتاك كتابى هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يديك حتى تهتك ستورها ، فلما أتاه الكتاب وعرف ما فيه ، أخذ

([1]) البلاذرى : أنساب الأشراف ، ١٠ /٣٣٠ .

([2]) ابن أعثم الكوفى : الفتوح ، ٨٢/٢.

([3]) الطرطوشى : سراج الملوك ، ص ٤١٨ .

معه من كان من القوم وذهب إلى المنزل ، وهتك مع أصحابه جميع ستوره وألقوا بها فى الأرض ، والكتاب فى يده لم يضعه بعد ([1]) .

وروى ابن شبة : أن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال لرجل من قبيلة تجيب يا منافق ، فشكاه التجيبى إلى أمير المؤمنين ، فكتب عمر رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص وكان إذا غضب عليه يكتب إلى العاص بن العاص - : ذكر فلان التجيبى أنك نفقته ، وقد أمرته أن أقام عليك شاهدين أن يضربك أربعين ، فلما أمكن عمرو الرجل من نفسه عفا عنه ([2]) .

وعندما زار عمر بلاد الشام التقاه أمراء الأجناد ، وفيهم يزيد بن أبى سفيان وأبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد على الخيول ، عليهم الديباج والحرير ، فنزل وأخذ الحجارة فرماهم بها ، وقال : سرع ما لفتم عن رأيكم! إياى تستقبلون فى هذا الزى ؛ وإنما شبعتم منذ سنتين ! سرع ما ندت بكم البطنة ! وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لا ستبدلت بكم غيركم ، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنها يلامقة ([3]) ، وان علينا السلاح ، قال: فنعم إذا ([4])

وكتب عمر إلى عمرو بن العاص : أنه " قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان ، لم تكن لك حين وليت مصر ؟ فكتب عمرو : إن أرضنا أرض متجر ومزدرع ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا ، فكتب إليه عمر : إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلى كتاب

([1]) ابن شبه : تاريخ المدينة ن ٣ / ٨١٩ .

([2]) تاريخ المدينة ، ٣ /٨٠٨ .

([3]) اللمق : ضرب العين بالكف خاصة والنظر - الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، ص ١١٩٠، والمقصود هنا أن لبسهم للديباج والحرير أمام أعين فقط والإفهم مستعدون بأسلحتهم .وعن جواز لبس الديباج والحرير انظر : وهبه الزحيلى : الفقه الإسلامى وأدلته ٣، ٥٤٨/ -٥٤٩ .

([4]) الطبرى : تاريخ ، ٣ /٦٠٧ .

ضجر قد أقلقه الأخذ بالحق ، فقد سؤت بك ظنا ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأخرج مما يطالبك به ، واعفه من الغلظة فإنه برح الخفاء " (١) .

ومنع عمر رضى الله عنه عماله من تقديم الهدايا إلى أهله ، فقد روى أن أبا موسى الأشعرى أهدى طنفسة (٢) لامرأة عمر عاتكة بنت زيد بن عمرو ، فلما دخل عليها ورأى اطنفسة ، سألها : من أى لك هذا ؟ فقالت : أهداها لى أبو موسى الأشعرى فأخذها عمر فضرب بها رأسها ، ثم قال : على بأبى موسى الأشعرى وأتعبوه ، فأتى به وقد أتعب وهو يقول : لا تعجل على يا أمير المؤمنين . فقال له : ما يحملك على أن تهدى لنسائى ؟ وأخذ الطنفسة وضرب بها فوق رأسه وقال : خذها لا حاجة لنا فيها (٣) .

وروى ابن شبة أن عمر شبة أن عمر خرج ومعه بلال بن رباح رضى الله عنه ، فجعل يأتى بيوت ناس من العمال فيستأذن ، فإذا أذن له قال : أنا ومن معى ، فيدخل عمر رضى الله عنه وهو متنكر ، فيفتش بيوتهم . فدخل على خالد بن الوليد رضى الله عنه ففتش بيوته ، فلم يجد فيها إلا متاع الغازى ن فقال خالد رضى الله عنه : أما والله لولا الله والإسلام ما فتشت بيت رجل بعدى (٤) . وكتب إلى بعض عماله : " أن حاسب نفسك فى الرخاء قبل حسابك فى الشدة ، فإنه من حاسب نفسه فى الرخاء قبل الشدة عاد مرجعه إلى الرضا والغبطة ، ومن ألهته حياته وشغفته أهواؤه عاد أمره

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف ، ٣٦٩/١٠ .

(٢) الطنفسة : : تطلق على البسط والثبات والحصير من السعف ، الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، ص ٧١٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ٣/ ٣٠٨ ، البلاذرى : أنساب الأشراف ، ١٠ /٣٦٢ .

(٤) تاريخ المدينة ، ٣ م ٨٣٦ .

إلى الندامة والحسرة ، فتذكر ما توعظ به لكيما تنتهى عمـــا تنـــهى عنـــه ، وتكون عند التذكرة والوعظ من أولى النهى " (١) .

وعلى الرغم من متابعة عمر المستمرة لعماله ومحاسبتهم ، إلا أنه كان يرى أن هنالك بعض الأمور والظلامات التى لا تصله ، لذلك نجده يقـــول : "لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا ، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى ، أما هم فلا يصلون إلى ، وأما عمالهم فلا يرفعونها إلى فأســـير إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شـــهرين ، والله لنعم الحول هذا " (٢) .

رابعا أسباب العزل :

تعددت أسباب عزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعماله ، فقد رأينا فيما مضى كيف كان يشدد فى اختبارهم ، لكى يقوموا بتنفيذ سياســـته فـــى الأمصار الإسلامية المختلفة . غير أنه ما كان يتوانى فى عزل أى عوامل أو وال حال تقصيره فى أداء واجب من الواجبـــات ، أو إخلالـــه بشـــرط مـــن الشروط التى اشترطها عليهم عند التولية ، أو أى سبب آخر مـــن الأســـباب التى يرى أنها مبررة للعزل .

وكان عمر رضى الله عنه يقول : "هان شئ أصلح به قوما أن أبدلـــهم أميرا مكان أمير"(٣) فمتى رأى أن فى عزل العامل صلاح للرعية ، فإنه مـــا كان يتردد فى ذلك . وكان أول عزل قام به عندما ولى الخلافة ، هو عـــزل

---

(١) المحب الطبرى : الرياض النضرة ، ١ /٣٤٠ .

(٢) ابن شبة : تاريخ المدينة ، ٨٢١/٣ ، الطبرى : تاريخ ، ٢٠٢/٤ ، ابـــن الجـــوزى : مناقب عمر ، ص ١٢١ ، ابن الأثير : الكامل ، ٣ /٣٠ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ٢٨٤/٣ ، ابن الجوزى : مناقب عمر ، ص ١١٨ .

خالد بن الوليد ، والمثنى ابن حارثة الشيبانى ، إذ قال فيهما : " لأعزلن خالد بن الوليد والمثنى بنى شيبان ن حتى يعلما إن الله إنما كان ينصر عباده ، وليس إياهما كان ينصر " (١) .

وهذه المقولة تدلنا على أن الناس كانوا قد افتتنوا بقيادة خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ، وما حققاه من انتصارات عسكرية هائلة ، فكان عمر رضى الله عنه يريد أن يضع حدا لذلك. وكان عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيوش للمرة الأولى فى سنة ١٣هـ / ٦٣٤م(٢). غير أنه بقى جنديا مخلصا تحت إمرة أبى عبيده ابن الجراح وأسندت إليه القيادة العسكرية فى قنسرين إلى أن تم عزله نهائيا فى سنة ١٧ هـ/٦٣٨م(٣) .

وكان خالد قد غزا فى هذه السنة غزوة أصاب فيها مالا ، فقسم نصيبه على الناس ، وأجاز الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم ، فلما علم عمر بذلك كتب إلى أبى عبيده أن يقيم خالدا ، ويعقله بعمامته ، وينزع عنه فلنسوته ، حتى يعلمهم من أين أجاز الأشعث بن قيس ، أمن ماله ؟ أم من أصابه أصابتها ؟ فإن كان من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة ، وإن كان من ماله فهو سرف " واعزله على كل حال واضمم إليك عمله ، فلم يجد أبو عبيه بدأ من تنفيذ أمر الخليفة ، فكتب إلى خالد فقدم عليه ، ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر، وسئل خالد من أين أجاز الأشعث ، فأجاب بأنه أجازه من ماله ، فعزل خالد وقدم إلى عمر بالمدينة ، وشكاه وقال له : لقد شكوتك إلى المسامين وأنك فى أمرى غير مجمل يا عمر ، فقال عمر : من

---

(١) ابن سعد : الطبقات ، ٢٨٤/٣ ، ابن خياط : تاريخ ، ص ٢٢ ، البلاذرى : أنساب الأشراف ٣٢٨/١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ١٩٣/٢.

(٣) الطبرى : تاريخ ، ٦٧/٤ .

أين هذا الثراء ؟ قال من الأنفال والسهمان ، ما زاد على الستين ألفا فلك . فقوم عمر عروضه فخرجت إليه عشرون ألفا ، فأدخلها فى بيت المال ([1]) .

وعلى الرغم من عزل عمر لخالد ومحاسبته له ، وعتاب خالد لعمر ، إلا أن ذلك لم يقلل من مكانة خالد فى نفس عمر ، مع تقديره لدوره الكبير الذى قام به فى قيادته للجيوش ، وقد عبر عن ذلك بقوله : " يا خالد ، والله إنك على الكريم ، وإنك إلى لجيب ، ولن تعاتبنى بعد اليوم على شئ " ([2]) . كما أن خالدا كان يقدر عمر أيما تقدير ، وما كان عليه إلا السمع والطاعة لخليفة المسلمين .

وقد برأ عمر ساحة خالد رضى الله عنه وكتب إلى الأمصار : "إنى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وألا يكونوا بعرض فتنه " ([3]) . فالسبب الرئيس فى عزل لخالد إذن هو افتتان الناس بخالد ، فأراد أن يزيل أساب الفتنه هذه ، وليس هناك أى مجال للأغراض أو أهواء شخصية دفعت بالخليفة لعزل خالد ، كما يزعم بعض المغرضين والمشككين.

وأمر آخر يوضحه ابن تيميه (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) فى عزل عمر بن الخطاب لخالد ، يبدد الأوهام التى وقع فيها كثير من الباحثين قدامى ومحدثين ، حيث قال : " وكان عمر بن الخطاب يؤثر عزل خالد ، واستنابة أبى عبيده ابن الجراح رضى الله عنه ، لأن خالدا كان شديدا كعمر بن

([1]) الطبرى : تاريخ ، ٤/ ٦٧-٦٨ .

([2]) الطبرى : تاريخ ، ٤ /٦٨

([3]) الطبرى : تاريخ ، ٦٨/٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ٣٧٥/٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ٨٠/٧-٨١ .

الخطاب ، وأبا عبيده كان لينا كأبى بكر ، وكان الإصلاح لكل منهما أن يولى من ولاه ليكون أمره معتدلا ، ويكون بذلك من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى هو معتدل " .([1]) .

ولما عزل عمر شرجبيل بن حسنة واستعمل معاوية ، استفسر شرحبيل عن أسباب عزله ، هل عن سخطه ؟ ؟ فنفى الخليفة ذلك وقال له : أنك لكما أحب ، ولكنى أريد رجلا أقوى من رجل ([2]) . فعلى الرغم من الدور الكبير الذى قام به شرحبيل فى قيادة العمليات العسكرية الناجحة ، إلا أن ذلك لم يحل دون عزله ، فعندما رأى الخليفة أن المرحلة تتطلب شخصية أقوى من شخصية شرحبيل عزله .

وعزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه المغيرة بن شعبة عن ولاية البصرة لأمور بلغته تطعن فى حسن مسلكه ، فما أن وصلت الشكوى إليه حتى بعث أبا موسى ومعه كتاب موجز إلى المغيرة جاء فيه : " أما بعد ، فإنه بلغنى نبأ عظيم ، فبعثت أبا موسى أميرا ، فسلم إليه ما فى يدك ، والعجل " ([3]) . فلما وصل كتاب أمير المؤمنين إلى المغيرة ، ارتحل إلى البلدية مع القوم الذين اتهموه ، فلما قدموا على عمر جمع بينهم وبين المغيرة، فشهد ثلاثة منهم على المغيرة ، ونكل الرابع فجلد عمر الثلاثة الحد وعزل المغيرة ([4]) . وفى سنة ٢١هـ /٦٤١ هـ عزل سعد بن أبى وقاص عن الكوفة لأن أهلها شكوه ، وقالوا : لا يحسن الصلاة ([5]) ، وقد تعجب سعد لهذا الاتهام وهذا الزعم ، فلما جاء إلى عمر قال له : سعد ويحك كيف

([1]) السياسة الشرعية ، ص ١٨-١٩ .

([2]) الطبرى : تاريخ ، ٤/٦٥ .

([3]) الطبرى : تاريخ ، ٤ /٦٩-٧٢، ابن الأثير : الكامل ، ٢ /٣٧٨-٣٧٩.

([4]) الطبرى : تاريخ ، ٤ /٦٩، ابن الأثير : الكامل ، ٢/٣٧٨-٣٧٩.

([5]) الطبرى : تاريخ ، ٤/١١٢.

تصلى ؟ قال : أطيل الأولين وأحذف الآخرين ، فقال : هكذا الظن بك ! ثم قال : لولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا ، ثم عزله وولى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وكان سعد خلفه على عمله حين قدم إلى عمر (١) .

وقد رأى الخليفة أن يعزل سعدا مع تأكده من تأديته الصلاة على أتم وجه ، لأنه ما كان يريد فرضه على قوم شكوه ، وكان يريد للمجتمع أن يكون متماسكا ، فعزله تحوطا خشية الفتنة . وفى سنة ٢١هـ /٦٤١م أيضا عزل قدامه بن مظعون عن البحرين ، وحده فى شرب الخمر الذى متأولا ، وكان قد شهد عليه بعض الصحابة بذلك منهم أبو هريرة (٢) .

وفى سنة ٢٢هـ /٦٤٢ م عزل عمار بن ياسر عن ولاية الكوفة لقلة علمه بالأمور الإدارية ، إذ شكاه أهلها ، وقالوا : إنه ليس بأمير ولا يحتمل ما هو فيه ، وهو غير كاف ولا مجز(٣) ، ولا عالم بالسياسة (٤) فكتب إليه عمر : أن أقبل ، فخرج عمار رضى الله عنه ومعه وفد من أهل الكوفة فعزله ، ثم دعاه بعد ذلك وقال له : أساءك حين عزلتك ؟ فقال : والله ما فرحت به حين بعثتنى ولقد ساءنى حين عزلتنى ، فقال له عمر : لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ، ولكنى تأولت (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) (٥) ثم سأل عمر وفد الكوفة فقال: من تريدون أميرا عليكم ؟ فقال: أبو موسى الأشعرى "فولاه عليهم"(٦).

---

(١)ابن شبة : تاريخ المدينة ، ٨١٦/٣-٨١٧ ، الطبرى : تاريخ ، ١٢١/٤ -١٢٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٢٥/٧ .

(٢)البلاذرى : فتوح البلدان ، ١٠٠/١ ، الطبرى : تاريخ ، ١١٢/٤.

(٣)الطبرى : تاريخ ، ١٦٣/٤،١٦٤ .

(٤)البلاذرى : فتوح البلدان ، ١٤٣/٢، الطبرى : تاريخ ، ١٦٤/٤ .

(٥) سورة القصص : الآية ٥ .

(٦)الطبرى : تاريخ ، ١٦٣/٤-١٦٤، ابن الجوزى : مناقب عمر ، ص ٧٨ .

والحق أن عمارا لم يكن جاهلا بالأمور الإدارية تماما كما وصف فى هذه الرواية ، وإلا لم يكن ليختاره عمر واليا ، ولكن اتضح أن شخصيته كانت أميل إلى القيادة العسكرية أكثر منها إلى السياسة الإدارية فعزله .

ولما ولى عمر على الكوفة أبا موسى الأشعرى ، أقام عليهم سنة فباع غلامه العلف ، فشكوه إلى أمير المؤمنين وقالوا لا حاجة لنا فى أبى موسى ، قال : ولم ؟ قالوا : غلام له يتجر فى حشرنا ، فعزله عنهم (١) .

ومن بين أسباب العزل التى اعتمدها الخليفة عمر رضى الله عنه عدم مراعاة الوالى للأحوال الاجتماعية للرعية ، فيروى أنه كان إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وعن أميرهم ، فيقولون خيرا . فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ هل يعود العبد ؟ وكيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها : لا ، عزله (٢) . ومن أسباب العزل أيضا عدم معرفة العامل بعض المسائل الفقهية الواضحة ، فعندما بعث إليه عتبة بن فرقد أربعين ألف درهم صدقة الخمر ردها ، وكتب إليه : بعثت إلى بصدقة الخمر وأنت أحق بها من المهاجرين . وأخبر بذلك الناس ، وقال : والله لا استعملتك على شئ بعدها (٣) . وعزل رضى الله عنه كاتبا لأبى موسى الأشعرى لخطأ نحوى ، لأنه كتب : إلى عمر ابن الخطاب من أبو موسى الأشعرى . فكتب عمر إلى أبى موسى قائلا : إذا أتاك كتابى هذا فاضرب كاتبك سوطا واعزله (٤) . وعزل النعمان بن نضله عامله على ميسان ، لأنه

---

(١)الطبرى : تاريخ ، ١٦٤/٤-١٦٥، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٢٥/٧ .

(٢)ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ١٤/١ ، الطبرى : تاريخ ، ٢٢٦/٤ .

(٣)أبو عبيد بن سلام : الأموال ، ص ٦٣-٦٤.

(٤) محمد كردعلى : الإسلام والحضارة العربية ، ١٣٥/٢ .

قال شعرا فى الخمر ، فقد روى ابن الجوزى أن عمر بن الخطاب بلغه قول النعمان :

لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم

فقال عمر : نعم والله إنه ليسوء نى ، من لقيه فليخبره إنى قد عزلته ، فقدم عليه رجل من قومه فأخبره بعزله ، فقدم على عمر فقال : والله ما صنعت شيئا مما قلت ، ولكنى شاعر وجدت فضلا من قول فقلت فيه الشعر ، فقال عمر : والله لا تعمل لى عملا ما بقيت وقد قلت ما قلت ([1]) .

وقيل أنه كتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير) ([2]) ، أما بعد ، فقد بلغنى قولك : لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم . وأيم الله أنه ليسوء نى ، وعزله ([3]) .

وعزل رضى الله عنه قاضى دمشق لما لاحظ أن عقله قد أصابه شئ من الخلل حيث جاءه وقال له : رأيت الشمس والقمر يقتتلان مع كل واحد منهما جنود من الكواكب فقال له : مع أيهما كنت ؟ قال : كنت مع القمر . قال : يقول الله عز وجل : (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا أية النهار مبصرة) ([4]) لا تلى لى عملا ([5]) .

وعزل أيضا قاضى البصرة أبا مريم الحنفى عندما شكى إليه ضعفه ، وقد اختصم إليه رجلان فى دينار ، فأصلح بينهما وغرم الدينار وأعطاه

([1]) مناقب عمر ، ص ١١٥ .

([2]) سورة غافر : الآيات ١١-١٣.

([3])ابن الجوزى : مناقب عمر ، ص ١١٥٠-١١٦ .

([4]) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

([5])ابن الجوزى : مناقب عمر ، ص ١١٨ .

المدعى ، فكتب إليه عمر : إنى لم أوجهك لتحكم بين الناس بمـــالك ، إنمـا وجهتك لتحكم بينهم بالحق ، وعزلة ([1]) . ومن أسباب العزل تدخـل الأمـير فيما لا يعنيه من أمور رعيته ، فقد روى ابن شبة : أن عمر رضى الله عنـه بعث شرحبيل ابن السمط – وكان ممن شهد اليرموك – على جيـش ، فلمـا نزل بهم قال : عزمت عليكم لما أخبرتمونى بكل ذنب أذنبتموه ؟

فجعلوا يعترفون بذنوبهم ، فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فقال : ما لـه لا أم له ، يعمد إلى ستره الله فيهتكه ؟ والله لا يعمل لى علما أبدا ([2]) .

وعزل رضى الله عنه أميرا عن قيادة الجيش لأنه كلف جنـوده مـا لا يستطيعون تحمله وشق عليهم ، فقد خرج جيش نحو بلاد الجبل ، وانتهوا إلى نهر ليس عليه جسر ، فقال أمير ذلك الجيش لرجل من أصحابه : انزل فابغنا مخاضه – أى موضع ضحل الماء – نجوز فيها ، وذلك فى يوم شديد البرد ، فقال الرجل : أنى أخاف أن دخلت الماء أن أموت . فأكرهه فقال : يا عمـراه يا عمراه ، ثم لم يلبث أن أهلك ، فبلغ عمر رضى الله عنه ذلـك وهـو فـى سوق المدينة ، فقال : يا لبيكاه يا لبيكاه ، بعث إلى أمير ذلك الجيـش فعزلـه وقال له : لولا أن تكون سنة لأقدت منك ، لا تعمل لى على عمل أبدأ ([3]) .

وروى ابن شبة : أن سرية سرت على عهد عمر رضى الله عنه علـى أرجلهم ، فطلب منهم رجل انتظاره فرفض أمير السرية ، فنادى يا عمـراه ، فمضوا وتركوه ، فبلغ ذلك عمر فكتب إلى أبـى موسـى : أن أبعـث إلـى بالرجل . فبعث به إليه ، فأخذ قناة فجعل يضربه بها ويقـول : يـا لبيكـاه ، ويقول : يا مهلك ، يقول لك الرجل : انتظرنى فتذهب وتتركه ، فينـادى يـا

([1]) وكيع : أخبار القضاة ، ١/٢٧٠، ٢٧٢ -٢٧٣.

([2]) تاريخ المدينة ، ٣/٨١٨ .

([3])ابن شبة : تاريخ المدينة ، ٣ /٨١٢-٨١٣ ، ابن الجوزى : مناقب عمر ، ص ١٢٠ .

عمراه ؟ فجعل يعتذر إليه ، فقال : والله لصلاح رجل من المسلمين أحب إلى من هلاك كذا وكذا من أهل الشرك . وكتب إلى أبن موسى : انظر مهلكا فى تستعمله ما كنت لنا على عمل (١) .

واستعمل عمر رضى الله عنه رجلا من الأنصار ، فنزل بعظيم أهل الحيرة عبد المسيح عمرو بن حيان بن بقيله ، فأمال عليه بالطعام والشراب ما دعاه به ، فاحتبس عليه بالهزل (٢) ، فدعا الرجل فمسح بلحيته ، فركب الرجل إلى عمر رضى الله عنه وقال له : يا أمير المؤمنين قد خدمت كسرى وقيصر فما أتى إلى فى ملك أحد منهم ما أتى إلى فى ملكات . قال : ما ذاك؟ قال : نزل بى عاملك فلان فأملنا عليه بالطعام والشراب ما دعا به ، فاحتبس بالهزيل فدعانى فمسح بلحيتى ، فأرسل إليه عمر رضى الله عنه ، فقال : هبه ، أمال عليك بالطعام والشراب ما دعوت به ، ثم مسحت بلحيته؟! والله لولا أن تكون سنة ما تركت فى لحيتك طاقة إلا نتفتها ، ولكن أذهب فوالله لا تلى لى عملا أبدا (٣) .

وبهذه الترتيبات والإجراءات الإدارية الصارمة التى اتبعها الخليفة عمر رضى الله فى توليه الولاة وعزلهم ، فقد أرسى للمسلمين أسسا قديمة ، وضوابط محدودة ، يسيرون عليها فى حياتهم . وقد أكد ذلك بقوله وهو مطعون : " إنى أقمت لكم الطرق فى تعوجوها " (٤) .

---

(١) تاريخ المدينة ، ٨١٢/٣ .

(٢)الهزيل : نقيض الجد ، والهزاله : الفكاهة . الفيروزابادى : القاموس المحيط ، ص ١٣٨٣ ، وقد ورد فى الرواية لفظ الهزل والهزيل ، والسياق يدل على أن المعنى هنا : أن العامل أخذ من بقايا الطعام فمسح بها لحية ابن بقيلة .

(٣)ابن شبة : تاريخ المدينة ، ٣ م٨١٢-٨١٣.

(٤) وكيع : أخبار القضاة ، ٣ / ٢٥٤ .

الخاتمة

وضع الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسسا راسخة فى الإدارة الإسلامية فيما يتعلق بتوليه العمال وعزلهم .

وقد تمثلت أسس التوليه فى الجوانب التالية :

- توليه الكفاة الأمناء الأقوياء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- عدم توليه الأكابر من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فى أعماله خشية تعريضهم للفتنه ، وقد أبقاهم فى المدينة مستشارين له ، كما كان لا يولى قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم لذات الأسباب .
- اختيار ذوى الهيبة والتواضع للقيام بأعباء إدارية معينة فى بعض الأعمال التى تتطلب أشخاصا بمواصفات محددة .
- استبعاد ذوى قرابته فى أى عمل من أعماله ، واعتباره استخدام عامل لمودة أو قرابة نوع من الخيانة .
- اختيار العمال من أهل الخير والصلاح والفطنة .
- اتصاف العامل بالرحمة ليكون أرحم برعيته .
- استبعاد توليه من طلب الولاية .
- استبعاد توليه أهل الردة الذين حسن إسلامهم ، إلا أنه كان يوصى باستشارتهم .
- عدم ميله إلى توليه أحد من أهل البادية على أهل الحاضرة .

أما أسباب العزل فقد تمثلت فى الجوانب التالية :

- التقصير فى أداء واجب من الواجبات ، أو الإخلال بشرط من الشروط التى اشترطها على العامل عند توليته .

- ضعف العامل وقلة كفاءته الإدارية ، أو قلة معرفته بكيفية سياسة الرعية .
- الخوف من الافتتان بالعامل كما هو الحال فى عزل خالد بن الوليد .
- الانحرافات السلوكية للعامل مثل شرب الخمر ونحوه ، أو التمثل بقول شعر يستحسن فيه شرب الخمر وإن لم يشربها ، مما يدل على انصراف العامل إلى صغائر الأمور .
- سرف العامل وإن كان ذلك من ماله الخاص .
- عدم رغبة الرعية فى العامل لأمور كرهوها فيه أو عابوها عليه .
- عدم اهتمام الوالى بالأحوال الاجتماعية للرعية كعبادة المرضى والاهتمام بالضعفاء .
- اللحن فى المكاتبات الرسمية .
- جباية العامل لأموال لا تجوز جبايتها ، مثل أخذ عتبة بن فرقد لصدقة الخمر .
- إحساس الخليفة بالانحرافات العقلية لبعض العمال .
- تدخل الأمير فيما لا يعنيه من شأن الرعية .
- تكليف العامل رعيته ما لا يطيقون ، مما يؤدى بهم إلى الهلاك .
- ظلم العامل رعيته والتعدى عليهم فى شئونهم الخاصة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم .

٢-ابن الأثير : عز الدين على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجـــزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، دار الفكر العربى ، د.م ، د .ت .
- الكامل فى التاريخ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنـــان ، الطبعـــة الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

٣-ابن الأزرق : محمد بن على بـــن محمـــد الغرنـــاطى (ت ٨٩٦هـــ / ١٤٩٠م)

- بدائع السلك فى طبائع الملك ، تحقيق على سامى النشار ، منشـــورات وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية ، سنة ١٩٧٧م.

٤-ابن أعثم : أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفى (ت نحو ٣١٤ هـ / نحـــو ٩٢٦م) .

- كتاب الفتوح ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر أبـــاد ، الدكن الهند ،نشر دار الندوة الجديـــدة ، بـــيروت ، لبنـــان ، الطبعـــة الأولى، د.ت .

٥-ابن الأعرج : أبو الفضل محمد بن عبد الوهاب بن عبد اللطيف الملقـــب بابن الأعرج (ت ٩٢٥هـ /١٥١٩م) .

- تحرير السلوك فى تدبير الملوك ، تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعـــم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٢ م.

٦-ابن تيمية : تقى الدين أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م).

- الحسبة فى الإسلام ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د.ت .
- السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ، دار الكتاب العربى بمصر

٧-ابن جماعة : محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ت ٧٣٣هـ /١٣٣٢م)

- تحرير الأحكام فى تدبير أهل الإسلام ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، قطر ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٨-ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧ هـ /١٢٠٠م) .

- الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥÷ـ / ١٩٨٥ م.
- مناقب عمر بن الخطاب ، تحقيق زينب إبراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

٩-ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن محمد الكنانى العسقلانى (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م)

- الإصابة فى تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ت .
- تهذيب التهذيب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

١٠- ابن خياط : خليفة بن خياط الليثى العصفرى الملقب بشباب (ت ٢٤٠هـ /٨٥٤ م) .

- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضيـــاء العمـــرى ، دار طيبـــة ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـــ /١٩٨٥ م.

١١- ابن الداية : أحمد بن يوسف بن إبراهيم (ت ٣٤٠هـــ /٩٥١م) .

- الفلسفة والسياسة عند العرب ، تحقيق عمر المالكى ، الشركة الوطنيـــة ، الجزائر ، ١٩٧١ م .

١٢- ابن سعد : محمد بن منيع البصرى الزهرى (ت ٢٣زهـــ /٨٤٤م) .

- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـــ /١٩٦٨ م.

١٣- ابن سلام : أ[و عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـــ / ٧٣٨م) .

- الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، دار الفكر ، القـــاهرة ، ١٣٩٥ هـــ / ١٩٧٥ م .

١٤ – ابن شبة : أبو زيد عمر بن شبة النمـــرى البصـــرى (ت ٢٦٢هـــــ / ٨٧٥ م) .

- كتاب تاريخ المدينة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، نشره السيد حبيـــب محمود أحمد ، المدينة المنورة ، ١٣٩٣ هـــ .

١٥-ابن فتنة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـــــ / ٨٨٩م) .

- عيون الأخبار المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعـــة والنشر ١٣٨٣هـــ / ١٩٦٣م.

١٦- ابن كثير : أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشـــقى ،ت ٧٧٤ هـــ / ١٣٧٢م) .

- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨١ م.

١٧- أبو حاتم البستى : محمد بن حيان (ت٣٥٤ هـ / ٩٦٥م) .

- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، وتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د .ت .

١٨ - أبو نعيم الأصفهانى : أحمد بن عبد الله الأصفهانى (ت ٤٣٠هـ /١٠٣٨م) .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

١٩- أبو يعلى : محمد بن الحسين الفراء الحنبلى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م).

- الأحكام السلطانية ، تصحيح محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٢٠- أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م) .

- كتاب الخراج ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، دار الإصلاح ، د. م ، د . ت .

٢١ - البخارى : الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ـ٢٥٦ هـ / ٨٧٠م) .

- صحيح البخارى (الجامع الصحيح) ، دار الفكر ، د.م ، د . ت .

٢٢- البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

- جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار - رياض زركلى ، دار الفكر ، د. م ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

- فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د. ت.

٢٣ – البيهقى : إبراهيم بن محمد البيهقى (كان حيا سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م)

- المحاسن والمساوئ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.

٢٤- الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سور (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م).

- سنن الترمذى ، تحقيق أحمد شاكر ، دار إحياء التراث العربى ، لبنان ، د.ت.

٢٥- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م).

- البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- التاج فى أخلاق الملوك ، تحقيق فوزى عطوى ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، لبنان ، د.ت.

٢٦- الجهشيارى / ابو عبدالله محمد عبدوس الجهشيارى (ت٣٣١هـ/٩٤٢م).

- الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الابيارى ، عبدالحفيظ شلبى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، مصر ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٢٧- الحكيم : سعد عبدالمنعم .

- الرقابة على أعمال الإدارة فى الشريعة الإسلامية والنظم المعاصرة ، دار الفكر العربى ، د.م ، الطبعة الأولى ١٩٧٦م.

٢٨- الخزاعى : على بن محمد الخزاعى التلمسانى (ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م).

- تخريج الدلالات السمعية ، تحقيق أحمد محمد أبـــو ســلامة ، وزارة الأوقاف بمصـــر ، لجنـــة إحيـــاء الـــتراث الإســـلامى ، القـــاهرة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٩- دبوس : د. صلاح دبوس .

- الخليفة توليته وعزله ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، د.ت.

٣٠- الذهبى : شمس الديـــن محمـــد بـــن أحمـــد بـــن عثمـــان الذهبـــى (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م).

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – عهد الخلفاء الراشـــدين ، تحقيق عمر عبدالسلام تدميرى ، دار الكتـــاب العربـــى ، بـــيروت ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.

٣١- الزحيلى / وهبة الزحيلى .

- الفقه الإســـلامى وأدلتـــه ، دار الفكـــر ، دمشـــق ، الطبعـــة الثالثـــة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣٢- شاهين : حمدى شاهين .

- الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ، دار القاهرة ، مصـــر ، د.ت.

٣٣- شلبى / أبو زيد شلبى .

- تاريخ الحضارة والفكر الإســـلامى ، مطبعـــة الاســـتقلال الكـــبرى ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

٣٤- الشيزرى : عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م).

- المنهج المسلوك فى سياسة الملوك تحقيق عبدالله الموسى ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٥- الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).

- تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، لبنان ، د.ت.

٣٦- الطرطوشى : ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد الفهرى المالكى (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م).

- سراج الملوك ، تحقيق جعفر البياتى ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٣٧- الطماوى : سليمان محمد .

- عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة - دراسة مقارنة ، دار الفكر العربى ، د.م ، الطبعة الثانية ١٩٧٦م.

٣٨- عبدالوهاب : محمد طاهر .

- الرقابة الإدارية فى النظام الإدارى الإسلامى ، بحث ضمن وقائع ندوة النظم الإسلامية - الجزء الأول - أبو طبى ١٨-٢٠صفر ١٤٠٥هـ/١١-١٣نوفمبر ١٩٨٤م ، مكتب التربية العربى لدول الخليج العربى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٩- الفيرزآبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م).

- القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث فى مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤٠- الفيومى : أحمد بن محمد بن على المقرى (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م).

- المصباح المنير ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧م.

٤١- قادرى : عبدالله أحمد .

- الكفاءة الإدارية فى السياسة الشرعية ، دار المجتمع ، جدة ، السعودية ، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٢- قلعة جى : محمد رواس .

- دراسة تحليلية لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال سيرته الشريفة ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٣- القعلى : محمد بن على بن الحسن (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، تحقيق إبراهيم مصطفى عجو ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٤- كردعلى : محمد كردعلى .

- الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنى التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة ، الثالثة ١٩٦٨م.

٤٥- الماوردى ك أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- تسهيل النظر وتعجيل الظفر فى أخلاق الملك وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى / ١٩٨٧م.

- درر السلوك فى سياسة الملوك ، تحقيق ودراسة د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- نصيحة الملوك ، تحقيق خضر محمد خضر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤٦- المحب الطبرى : أبو جعفر أحمد بن عبدالله (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م):

- الرياض النضرة فى مناقب العشرة المبشرون بالجنة ، دار الندوة الجدية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٧- مسلم : الإمام بن الحجاج القشيرى (ت٢٦١هـ/٨٧٥م).

- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، دار إحياء التراث العربى ، د.م ، د.ت.

٤٨- منصور : على على منصور .

- نظم الحكم والإدارة فى الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ، دار الفتح ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٤٩- الهندى : علاء الدين على المتقى بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ/١٥٦٩م).

- كنزل العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، ضبطه بكرى حسبانى ، وصححه صفوت السقا ، مطبعة البلاغة ، حلب ، سنة ١٩٧١م.

٥٠ - وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت٣٠٦هـ/٩١٨م).

- أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، د.ت.